

# الأسواق التجارية

## في عهد الدولة النورية

(٥٤١ — ٥٦٩ هـ) (١١٤٦ — ١١٧٤ م)

د. محمد مؤنس أحمد عوض

الدولة النورية (٥٤١ — ٥٦٩ هـ)

(١١٤٦ — ١١٧٤ م) ازدهاراً تجارياً واضحاً سواء

كان على مستوى التجارة الداخلية أو الخارجية، وذلك لتوافر قيام ذلك

النشاط التجاري من خلال وجود مقومات الإنتاج الزراعي والصناعي، ووقوع بلاد

الشام ضمن مناطق طرق التجارة الدولية القادمة من شرق ووسط آسيا والتي وصلت إلى

الساحل الشرقي للبحر المتوسط، ومن الأمور الجديرة بالاهتمام إدراك أن النشاط التجاري

في تلك الدولة وما جنته من وراء فرض المكوس على حركة القوافل التجارية، قدمه

خزانتها بالأموال الطائلة التي مكنتها — على الأرجح — من مواصلة سياستها الخارجية

الطموحة والمهيمنة.

شاهدت



ولا جدال في أن الأسواق التجارية لتلك الدولة قد عكست ذلك الازدهار التجاري، ومن ثم فمن الجدير بالدراسة تناول تلك الأسواق، إذ أن ذلك من شأنه أن يعيننا على فهم طبيعة تلك المرحلة من الناحية الاقتصادية وكذلك السياسية والاجتماعية أيضاً.

ومن أجل رسم صورة واضحة لتلك الأسواق التجارية نطلب الأمر الرجوع إلى المصادر التاريخية مثل كتب الخواريات العامة التي ربما وردت فيها بعض الشذرات المتناثرة هنا وهناك، وكذلك مؤلفات الرحالة المسلمين الذين قدموا لنا أوصافاً ذات دلالات هامة عن الظاهرة الحضرية في المدن الشامية وخاصة تلك التي كانت خاضعة لسيادة الدولة النورية وكذلك تواريخ المدن التي تركز الحديث على مدينة معينة من المدن الشامية وتعطي لنا صورة واضحة من خلال تناولها للمخطط — للأسواق التجارية وتوزيعاتها وأنواع السلع التي احتوتها ومدى تخصصها في بيع سلعة تجارية محددة. وفضلاً عن ذلك، هناك ما ألقه تجار شاميون عاصروا الدولة النورية ورسموا صورة هامة لأصناف التجار الذين اتخذوا من تلك الأسواق ميداناً لنشاطهم التجاري.

وبصفة عامة، وجدت في كافة أنحاء الدولة النورية العديد من الأسواق التي كانت محط نشاط اقتصادي واجتماعي وسياسي واسع النطاق من جانب الأهالي وإن غلبت عليها الصفة الاقتصادية بطبيعة الحال.

وقد توافرت عدة أنواع من الأسواق التجارية. فهناك المحلية والموسمية والسنوية (١)، ونجد النوع الأول في صورة الأسواق الأسبوعية مثل سوق الأحد الذي كان يعقد في مدينة دمشق (٢) وفق ما ذكره ابن عساكر، ومن أمثلة الأسواق الموسمية سوق موزرب عند حوران، وتقع موزرب على الطريق الرئيسي لقافلة الحج الشامي، ومن المحتمل أن السوق كانت تقام عند وصول القافلة القادمة من مكة، وقدم إلى هناك العديد من التجار العراقيين وربما اشتركت فيه عناصر من التجار الصليبيين (٣).

وشهدت الدولة النورية وجود العديد من الأسواق المتخصصة وكان لذلك فائدته، حيث حرص التجار على عدم المغالات في أسعار سلعهم نظراً لأن المشتري يستطيع المفاضلة بينهم ولأنهم تنافسوا معاً (٤)، ويلاحظ أنه ومع توزيع الأسواق وتباعدها بعضها عن البعض الآخر، صارت المدينة تنمو بالحركة والنشاط التجاريين، لأن الراغب في شراء عدة أصناف من السلع كان عليه أن يقطع المدينة طولاً وعرضاً ومن الشمال إلى الجنوب

حيث أنه لا يوجد في السوق الواحد إلا سلعة واحدة (٥). وإذا نظرنا إلى الأسواق المتخصصة في مدينة دمشق، فإننا بفضل ما ألفه ابن عساكر — المعاصر لعهد نور الدين محمود — يمكننا أن نلاحظ أنها احتوت على كافة السلع والبضائع الأساسية والكمالية والتي تهم العامة وكذلك العناصر الثرية ذات القدرة الشرائية المرتفعة، وعلى هذا النحو، فقد ازدهرت أسواق تجارية تخصصت في الأغنام (٦) والقمح (٧) والدقيق (٨) والمنتجات النحاسية (٩) والحداة (١٠) والقناديل (١١) والفاكهة (١٢) والريحان (١٣) والطيور (١٤) والحبال (١٥) واللؤلؤ (١٦) والعلب (١٧) والسراجة (١٨) والقلائس (١٩) والغزل والخيوط (٢٠).

ومن الطبيعي أن نلاحظ أن الأسواق التي تخصصت في بيع السلع التي في متناول قدرات العامة الشرائية شهدت ازدهاراً واضحاً في مدينة كبيرة مثل دمشق ندرك من خلال المصادر أنها تزايدت في أعداد سكانها، بينما تلك التي تخصصت في السلع المترفة لم تكن تشهد تزايداً في المراكز الشرائية نظراً لطبيعتها المتخصصة.

ومن ناحية أخرى، لدينا أوصاف العديد من أسواق المدن الشامية. مثل حلب، وحمص، وحماة، ومعرة النعمان والباب. فقد امتازت حلب بأسواقها الحسنة (٢١)، واتسمت بأنها واسعة وكبيرة متصلة بصورة منتظمة ومستطيلة (٢٢)، أما حمص فقد كان لها العديد من الأسواق العمارة بالسلع (٢٣) وامتازت بأنها مبلطة (٢٤)، فسيحة الشوارع (٢٥)، أما حماة فقد قسمت إلى مدينتين، قسم علوي وآخر سفلي وازدهرت أسواق القسم العلوي وتفوقت على القسم السفلي، واحتوت على مختلف أنواع التجارات (٢٦)، وفي معرة النعمان وجدت الأسواق المزخرة بالبضائع (٢٧)، أما الباب فكانت لها أسواقها الصغيرة على نحو يتناسب مع حجمها بوصفها بليدة صغيرة (٢٨)، من أعمال حلب بشمال الشام. ويلاحظ أن من تلك الأسواق نجد الأنواع المسقوفة وذلك من أجل عرض السلع لأطول مدة ممكنة وحمايتها من الأمطار في الشتاء وحرارة شمس الصيف (٢٩)، ومن الأسواق الشامية الهامة والمسقوفة أسواق دمشق (٣٠)، وفي حلب وجدت أيضاً نفس الظاهرة (٣١).

وقد مكث التجار في هذه الأسواق يعرضون سلعهم ويبيعونها للمشتريين، وكانت لهم عادات معينة في عملهم فغالباً ما يمشون من الصباح حتى فترة ما بعد الظهر ثم

يستحضرون طعاماً للغداء أو يذهبون إلى مطاعم تقدم الطعام ويعودون إلى حوانيتهم من أجل مواصلة العمل حتى المساء (٣٢).

وقد استمرت الأسواق تفتح أبوابها إلا في حالات معينة، فعند حدوث الفوضى أو اضطراب الأمور في المدينة لأي عامل من العوامل كان التجار يسارعون إلى غلق حوانيتهم حتى لا تتعرض للسلب والنهب، كذلك في حالة وفاة أحد كبار معارفهم كانوا يغلزون حوانيتهم من أجل أن يسارعوا بالمشاركة في حضور مراسيم جنازته (٣٣).

ومن الجدير بالاهتمام دراسة أنواع التجار الذي تمركزوا في تلك الأسواق، ووفق ما ذكره أحد التجار المحنكين المعاصرين لعهد نورالدين محمود: فقد وجد هناك ثلاثة أنواع من التجار: الخزان ثم الركاض وأخيراً المجهر.

أما التاجر الخزان فيقوم بشراء السلعة في حينها جملة في وقت يكثُر بائعوها ويقل الطالبون لها. ويمكن من حفظها بأمان ومنتظر فرصة مناسبة تسدر فيها ويتقطع وصولها ويكثر الطلب عليها (٢٤). ومنطقي أن هذا النوع من التجار احتاج إلى معرفة أحوال البضائع في أماكن انتاجها وبيعها وبلادها ومدى وفرتها أو ندرتها وأسعارها سواء ارتفعت أو انخفضت، ويمكن التعرف على ذلك من خلال سؤال القادمين من تلك البقاع (٣٥)، ويلاحظ أنه في حالة توقع انخفاض الأسعار كان على التاجر الخزان أن يقوم ببيع سلعته (٣٦) حتى لا تضيق عليه تلك الكميات الكبيرة التي خزنها.

وكان عليه أن يقوم بتجزئة شراء السلعة فلا يندفع مرة واحدة لشراء كميات كبيرة منها، دون روية بل يقسم ذلك إلى مراحل يفصل وقت بين كل مرحلة وأخرى، ففي خلال ذلك قد ترتفع الأسعار أو تنخفض، وفي كل من الحالتين يمكن أن يستفيد من ذلك (٣٧).

ويوجب على الخزان أن يكون عارفاً بالأوضاع السياسية القائمة في البلاد التي يعمل بها ويبارس نشاطه التجاري الكبير من خلالها، ويدرك مدى ما عليه القيادة السياسية من قوة أو ضعف وينظم أوضاع تجارته على الوضع القائم (٣٨).

أما التاجر الركاض، فهو التاجر الذي يذهب إلى أماكن انتاج السلع ويحلبها، وينبغي أن تتوفر لديه جداول بأسعارها وكذلك بالكوس التي تفرض عليها وهي تختلف من قطر إلى آخر وكذلك نسبة الفائدة على المنتجات التي يحلبها، وعليه الحذر في اختيار التجار

الذين يتعامل معهم خوفاً من أن يكون أحدهم من المفلسين فيؤدي ذلك إلى أوجع العواقب على تجارة التاجر الركاض (٣٩).

وبالنسبة للتاجر المجهز فينصب له في الموضع الذي يجهز إليه من يقبض البضائع التي يصدرها إليه ويتولى القايض عملية بيعها ويتخير أن يكون ذو ثقة وخبرة كبيرة في أمور التجارة ويخصص له جانب من الربح، وعليه ألا ينفذ البضائع إلا مع تجار يشق بهم ويطمئن إلى أنهم يعملون على حفظها إلى أن يسلموها إلى التاجر المطلوب (٤٠).

وإلى جانب أولئك التجار، احتوت الأسواق التجارية الشامية على الساسة أو الدلالين (٤١)، وهم الذين كانوا يدللون على السلع من أجل جلب العملاء لشرائها، ويبدو أن الكذب كان ملازماً لهم في عملهم (٤٢)، ووجد منهم من يعمل على وصف السلع وجودتها من أجل ترغيب العملاء بشرائها أو يتحدث عن ندرتها أو قلتها وأنه لم يبع منها في الأسواق إلا هذا القدر الذي يريد بيعه أو أن يوضح أن سعر السلعة سيرتفع أو أن يرغب المشتري بأن هناك من سيحضر للشراء ويدفع جزءاً من الثمن لاحتجازها (٤٣).

ويلاحظ أن الأسواق الشامية في عهد الدولة التورية قد شهدت وجود الاحتكار التجاري (٤٤) لإحدى السلع أو بعضها، وقد شجع على ذلك توافر رأس المال ضخمة يمكن التاجر من القيام به والتاجر المحتكر الذي عمل على خزن السلع انتظاراً لرفع أسعارها تحقيقاً لأكبر قدر من الأرباح (٤٥)، وفي هذه الحالة فإن خزنها قد يطول وقد يقصر وفق وضع السوق نفسه (٤٦)، وقد أشارت المصادر إلى وجود تجار احتكروا التجارة مع قطاعات معينة مثل التجارين اللذين احتكروا التجارة مع الكيان الصليبي وهما نصر بن قوام وأبو الدر ياقوت مولى العطاوي وقد وصفهما ابن جبير بأنهما رجلين من موسري التجار وكبرائهم وأغنيائهم المتفهمين في الثراء وذكر أن تجارتها كلها بهذا الساحل الأفرنجي ولا ذكر فيه لسواهما ولهما الأمانة من المقارضين فالقوافل صادرة وواردة ببضائعها، وشأنهما في الغنى كبير (٤٨). ويلاحظ أن المحتسب عمل على أن يواجه ظاهرة الاحتكار بأن يرغب التاجر على بيع سلعته، لكن مثل أولئك التجار الأثرياء لم يعدموا الوسيلة التي تساعدهم على مواصلة المكاسب المادية الضخمة، وقد هموا تجارتهم عن طريق الاتصال بكبار رجال الدولة من المسلمين والصليبيين على حد سواء، إذ يذكر نفس الرحالة عن التجارين السابقين أن قدرهما عند أمراء المسلمين والأفرنجيين خطير (٤٩).

وبلاحظ أن الأسواق في عهد تلك الدولة نشطت من خلال الطابع التجاري العام الذي عرفت به عدة مدن في بلاد الشام خلال عهد نورالدين محمود، وكذلك، من خلال وجود أسر معينة اشتغلت بالنشاط التجاري وجنت بالتالي ثروات ضخمة.

لقد غلبت الصفة التجارية على عدد من المدن الشامية حينذاك، عل نحو أكدته المصادر العربية واللاتينية على حد سواء، فأهل حلب مثلاً عرفوا بالنشاط التجاري الواسع النطاق واكتسبوا خبرة في «تثمين الأموال» (٥٠)، أما شيزر، فإن وإليم الصوري يقرر أن أهلها غالباً ما يعمدون اهتمامهم بصورة كاملة موجهة للتجارة (٥١)، أما الأسر التجارية فنجد من أمثلتها أسرة الرحبي، الذي عاصر نورالدين محمود، فقد ترك أولاداً «لهم اشتغال جيد في هذا الفن» (٥٢)، كذلك وجدت في مدينة حلب «بيوتات قديمة معروفة بالثروة ويتوارثونها» (٥٣) وهناك أسرة تجارية أخرى عرفت في شيزر وهي أسرة أبناء عياض حيث عمل أخواها منها بالتجارة هما مظفر ومالك بن عياض «وهما تاجران يسافران إلى بغداد وغيرها من البلاد». (٥٤) ويبدو أن تلك الأسر امتلكت أفرادها رؤوس أموال كبيرة مكنتهم من أن يقوموا بدور كبير في الأسواق التجارية في عهد الدولة النورية وبدلنا على ذلك أن الرحبي رزق من التجارة مالا جاً (٥٥) وترك تاجراً آخر ميراثاً لابنه بلغ عشرين ألفاً من الدنانير (٥٦).

ومن الممكن أن نقدم مثالين من أمثلة الأسواق التجارية في عهد الدولة النورية، من خلال سوق العطارين وسوق الوراقين، ومن الملاحظ أن من التجار الذين ازدهرت تجارتهم حينذاك أولئك الذين عملوا في سوق العطارين (٥٧)، وفي دمشق مثلاً وجدت حوانيتهم عند المسجد الأموي حيث كانت منتظمة عند دهليز الباب الغربي (٥٨)، وقد باعوا العقاقير (٥٩) والأخشاب والنباتات البرية وغيرها من صنوف العطارية مثل البابونج والحلبة والشيح والكرامة والجنزبيل والكزبرة والكمون والقرنفل وغيرها (٦٠)، وقد قام العطاريون بتقديم الوصفات الطبية للعامة (٦١) وربحوا من وراء ذلك أرباحاً وفيرة، وقد حدث في عام ٥٤٧هـ / ١١٥٢م أن انتشر أحد الأمراض ومن أعراضه الحمى والسعال وشمل قطاعات كبيرة من السكان حيث انتشر في الشيوخ والشباب والأطفال (٦٢)، واندفع الناس إلى دكاكين العطارين «لتحصيل المغلي» (٦٣)، ويذكر ابن القلانس أن أحد العطارين قد باع في يوم واحد ثلاثمائة وثمانين صنفاً (٦٤)، على نحو يوضح ازدهار تلك

التجارة وسوقها بحيث إنها شملت ذلك العدد الضخم من أصناف العطرة المتخصصة .  
أما سوق السوراقين فقد ازدهر هو الآخر من خلال المراكز العلمية النشطة التي شهدتها البلاد من كثرة المدارس والعلماء وطلاب العلم ، وقد اقتص ببيع الأوراق (٦٥) والأقلام والمداد ، وكذلك الكتب القديمة ، وقد ظهرت مثل هذه الدكاكين في بداية الدولة العباسية وانتشرت من بعد ذلك في مختلف بلدان العالم الإسلامي (٦٦) ، ومن أكبر أسواقها ما وجد في مدينة دمشق (٦٧) وكانت سوقاً لتجارة الورق الذي عرف لدى الأوربيين بالصحائف الدمشقية (٦٨) Charta Damascena وأجود أنواعه ذات اللون الصافي الناعم الملمس والتفيل الوزن (٦٩) ، واحتوى سوق السوراقين على العديد من العناصر المشتغلة بالكتابة مثل النساخ والمصححين وسائر الكتب وعاقدي الأنكحة (٧٠) .

ويلاحظ أن الحصول على الكتب القديمة يأتي من خلال عدة مصادر مثل النساخ وهم أساس تمويل سوق الكتب والورقة الذين باعوا خلاصة عقول أسلافهم نتيجة عدم إدراك قيمتها العلمية أو للاستفادة المادية من بيعها والكتب المنهوية وكتب المديونين والمفلسين (٧١) .

وقد تعرضت الأسواق التجارية في عهد الدولة النورية إلى العديد من الأخطار ، ومن أمثلتها ما نجم عن عمليات السلب والنهب والحرائق ؛ في خلال أحداث هجوم نورالدين محمود على دمشق عام ٥٤٩هـ / ١١٥٤م ، نهب الناس سوق علي (٧٢) وغيره من الأسواق ويشير ابن القلائس المؤرخ الرسمي في نظرة استعلاء طيحي إلى الموقف قائلاً : تسرع قوم من الرعاع والأوياش إلى سوق علي وغيره فعانوا ونهبوا (٧٣) .

ومن ناحية أخرى ، تسبب إهمال أحد الصنائع في إشعال حريق ضخم بسوق اللبادين في عام ٥٦٢هـ / ١١٦٦م في مدينة دمشق ، وقد استمر عدة أيام واحترقت خلاله العديد من المباني والمتاجر (٧٤) ، كذلك شب حريق ضخم في الأسواق التي جاورت جامع حلب في عام ٥٦٥هـ / ١١٦٩م (٧٥) ، وقد أدى وقوع هذه الحرائق إلى خسائر لعدم توافر وسائل ميسرة للاطفاء ولوجود كميات كبيرة من الأخشاب دخلت في صنع الحوائث وفي تسقيف الأسواق على نحو جعل النيران تلتهم المتاجر والسلع مسببة للأسواق ونجارتها خسائر فادحة .

أما أسعار السلع في الأسواق التجارية في عهد الدولة النورية فإنها تأثرت بصورة جلية

بالأوضاع السياسية ومدى استقرارها أو اضطرابها، وكذلك توقف الأمطار عن المطول. وقد ارتفعت الأسعار في الأسواق الدمشقية أثناء حصار نورالدين محمود لها في عام ١١٥٢هـ/ ٧٦م وقد أدى ذلك إلى عدم وصول التجار بها محتاجه المدينة من الغلال وغيرها من السلع نظراً لتوقف الطرق التجارية (٧٧) وقد بلغ سعر الحنطة خمسة وعشرين ديناراً أو أكثر (٧٨)، الأمر الذي أدى إلى وفاة الكثيرين (٧٩) ولكي تدرك مدى الارتفاع الكبير في معدل الأسعار حينذاك، نذكر أن الأسعار في العام الأول لتولي نورالدين محمود الحكم بعد مقتل عماد الدين زنكي كانت منخفضة، فسعر الحنطة المكوكة ونصف دينار واحد (٨٠) والشعير مكوكان ونصف دينار واحد، وقد استمر الوضع السابق في عام ١١٥٤هـ/ ١١٥٤م حيث ظلت الأسعار مرتفعة (٨١).

أما تأثير توقف سقوط الأمطار فقد أدى إلى ارتفاع الأسعار بصورة واضحة في الأسواق التجارية، نظراً لاعتماد قسم من المزروعات على الأمطار في رباها، وقد اتجهت الأمطار في عام ١١٥٢هـ/ ١١٥٧م فارتفعت الأسعار ولكن بعد سقوطها عادت إلى معدلها المعتاد (٨٢).

أما سياسة الدولة النورية تجاه الأسواق فيمكن ملاحظتها من خلال عدة اتجاهات، فهي قد اتجهت نحو الاهتمام بالأسواق بصفة عامة، ثم عملت على إخضاعها لرقابة المحتسبين وأحياناً عملت على إلغاء المكوس التي فرضتها على أنواع السلع التي تتم المتاجرة بها.

ونظراً لإدراك الدولة لأهمية الأسواق ودورها في حياة الناس والحركة التجارية لذا وجدناها قد اهتمت بها فعملت على توسيعها (٨٣)، ونجد ذلك بالنسبة لأسواق دمشق (٨٤) وحلب (٨٥) حيث عملت على إعادة عمارة أسواق المدينة الأخيرة (٨٦)، وبالطبع فإن هذا الاهتمام نالته أيضاً أسواق المدن الشامية الأخرى على الأرجح.

ومن جهة أخرى تمثلت سياسة الدولة تجاه الأسواق التجارية من خلال المحتسب (٨٧) ودوره، ووظيفته في الأصل قامت على أساس ديني ارتكز على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٨٨)، واتخذ منصبه أهمية اقتصادية واضحة، إذ أنه مثل عنصر التدخل الحكومي في ممارسة الأفراد لنشاطهم التجاري وقد اهتم بمراقبة الموازين والمكاييل وكذلك حالات الغش التجاري، وكان من حقه القيام بالتشهير بالمخالفين وتعزيرهم (٨٩).



أما سياستها تجاه الأسواق من حيث إلغاء بعض المكوس فقد دلت بصورة كبيرة على اهتمامها بازدهار الحركة التجارية فيها، ومن أوضح الأمثلة الدالة على ذلك ما دلنا عليه نقش باب الشاغور بمدينة دمشق والذي يرجع إلى عام ٥٥١هـ / ١١٥٦م (٩٠)، ووفق ذلك النقش فقد تم إلغاء حق التفير على التجار المسافرين إلى العراق والعائدين منه إلى دمشق، وتكرر الإلغاء بالنسبة للمكوس في أعوام ٥٥٤هـ / ١١٥٩م (٩١) و ٥٥٨هـ / ١١٦٣م (٩٢) و ٥٦٣هـ / ١١٦٧م (٩٣) و ٥٦٦هـ / ١١٧٠م (٩٤) و ٥٦٧هـ / ١١٧١م (٩٥)، وتجدد الإشارة إلى أن مقدار ما ألغي من مكوس في العام الأخير قد بلغ ٤٦٠، ٥٨٦ ديناراً (٩٦) أي ما يعادل نصف مليون دينار.

وإذا كانت سياسة الدولة النورية قد اتجهت بصفة عامة إلى الاهتمام بالأسواق التجارية على نحو ضمن لها الانتعاش، فإن ازدهارها تزايد خلال طبيعة المرحلة التاريخية نفسها ونعني بذلك مرحلة الحروب الصليبية على مدى القرنين ١٢، ١٣م، ويقرر الباحثون أن تجارة الشرق الأدنى — بصفة عامة خلال تلك المرحلة — شهدت نهضة تجارية لم تكن موجودة من قبل (٩٧)، ودفعتها دفعة كبرى إلى الأمام (٩٨)، وقد تاجرت الدولة النورية مع العديد من القوى التجارية في عالم البحر المتوسط، فهناك الإمبراطورية البيزنطية والمدن التجارية الإيطالية مثل جنوة وبيزا والبندقية (٩) وتمكن الإيطاليون على وجه الخصوص من زيادة حجم تجارتهم مع بلاد الشام وصار لهم القناصل التجاريون في المدن التجارية على نحو خاص، ومن ناحية أخرى، اتجهت الدولة النورية إلى التناجرة مع الكيان الصليبي في صورة مملكة بيت المقدس نفسها وإمارتي أنطاكية وطرابلس، إذ أن المدن الشامية التجارية التي لا تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط حرصت أشد الحرص على أن يكون لها منافذ بحرية من أجل تصدير سلعها إلى عالم البحر المتوسط، ولذلك كانت صيدا ميناء دمشق (١٠٠)، أما حماة وحصن فكان منفذهما على البحر متتلاً في طرابلس (١٠١)، على الساحل اللبناني وهي مدينة عرفت بكثرة صادراتها ووارداتها (١٠٢)، أما حلب فكان منفذها البحري وجد في صورة ميناء الاسكندرونة (١٠٣) وكذلك ميناء جبلة (١٠٤)، وحيث أن كافة تلك الموانئ، الساحلية خضعت للسيادة السياسية الصليبية، فإن الدولة النورية اضطرت إلى التناجرة مع الكيان الصليبي — على الرغم من استعمار العداء على المستويات السياسية والعسكرية — وذلك من أجل دعم

اقتصادياتها، ولا جدال أن المشاجرة مع الأعداء ساهمت بدورها في النهضة التجارية التي شهدتها المنطقة في عصر الحروب الصليبية على نحو أدى بدوره إلى ازدهار النشاط التجاري في أسواق تلك الدولة.

ذلك عرض للأسواق التجارية في خلال عهد المرحلة النورية (٥٤١ — ٥٦٩هـ / ١١٤٦ — ١١٧٤م).



## الهوامش

- (١) نعيم زكي، طرق التجارة الدولية، ص ٢٨١.
- (٢) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، م (٢) ص ٧٠، ص ١٠٩.
- (٣) هاليد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ص ١٨٣.
- (٤) نعيم زكي، المرجع السابق، ص ٢٨٢، حاشية (٣٦).
- (٥) عاشور، بعض أسماء جديدة على ابن عساکر، ص ٢٣٢، خالد معاذ، دمشق في أيام ابن عساکر، ص ١٤٢، عياد الفقي حسن، التجارة الإسلامية على مدى العصور، ص ٣١.
- (٦) ابن عساکر، المصدر السابق، م (٢)، ص ١٨٠ ترجمة محمود بن زكي، ص ١٣٧ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨ / ص ١، ص ٣٠٦.
- Elisseeff, Corporation de Damas, P. 75, Nur AL-Din, T.III, P. 869
- (٧) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ص ٧٤، ص ١٣٨.
- Elisseeff, Corporation, P. 74
- (٨)
- (٩) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ص ١٣٧.
- (١٠) نفس المصدر، ص ١٦٣، وقد وجد سوق للحدادين في مدينة حلب بشمال الشام، عنه انظر: Blochet, l'Histoire d, Alep de Kamal AL-Din, P. 25
- (١١) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ص ٦٦.
- Elisseeff, Corporation, P. 75
- (١٢) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ص ١٢٩.
- (١٣) نفس المصدر، ص ٢٤.
- (١٤) نفس المصدر، ص ٦١.
- (١٥) نفس المصدر، والمضفة.
- (١٦) نفس المصدر، والمضفة.
- (١٧) نفس المصدر، ص ٥٩.

- (١٨) نفس المصدر، ص ٥٧
- (١٩) نفس المصدر، الصفحة ١١٥، أحداث الاقتصاد في دمشق، ص ٣٠٣
- (٢٠) ابن حساكن، تاريخ مدينة دمشق، ص ١٦٨
- (٢١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٧١
- (٢٢) ابن حبر، الرحلة، ص ١٢٠٢، من خطوط، الرحلة، ص ٢٠، ابن شافعي، ريداء كشف المأثبات، ص ٤٩، نقولا وهادة الرحلة العرب، ص ٧٥
- Sauvaget, Alep. Essai sur le developpement d'une grande ville, p. 119 121
- (٢٣) الإدريسي، رحلة المشتاق، ص ٤٠، ص ٣٧١، من شافعي، المصدر السابق
- (٢٤) وصفي زكريا، جولة أثرية، ص ٢٤١
- (٢٥) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٦٥
- (٢٦) ابن جبير، المصدر السابق، ص ٢٠٧
- (٢٧) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٤٠
- (٢٨) أبو القعاد، تلويح البلدان، ص ٢٦٦
- (٢٩) بركات قسطلاني، الروضة الصفاء، ص ١٠٠
- (٣٠) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٧٠، شاذل معاذ، المرجع السابق، ص ١٢٢
- (٣١) نقولا زبادة، المرجع السابق، ص ٧٥
- (٣٢) معتر، الحضارة الإسلامية، ص ٢٠٧، ص ٣٣٩
- (٣٣) ابن العديم، معية الطالب - انقسم خدش من رحم الإسلام، ص ٢٦٦
- (٣٤) القسطنطيني، الإشارة إلى بحاس التجارة، ص ٧٠
- (٣٥) نفس المصدر والصفحة
- (٣٦) نفس المصدر والصفحة
- (٣٧) نفس المصدر، ص ٧١ - ص ٧٢
- (٣٨) نفس المصدر، ص ٧٢
- (٣٩) نفس المصدر، ص ٧٣ - ص ٧٤
- (٤٠) نفس المصدر، ص ٧٥
- (٤١) نفس المصدر، ص ٦٤
- (٤٢) نفس المصدر والصفحة
- (٤٣) نفس المصدر والصفحة
- (٤٤) نفس المصدر، ص ٧٢ - ص ٧٣، من الأحياء، معاد انعم، ص ١٢٢، من حلقون، لخدمته، ص ٣٥١
- أنيس المقدسي، الدولة الأيوبية في رسائل ابن الأثير، ص ٣٢٧
- (٤٥) القسطنطيني، المصدر السابق، ص ٧٢ - ص ٧٣
- (٤٦) نفس المصدر والصفحات
- (٤٧) ابن حبر، الرحلة، ص ٢٥٣
- (٤٨) نفس المصدر والصفحة
- (٤٩) نفس المصدر والصفحة

- (٥٠) ياقوت معجم البلدان، ج ٧، ص ٢٨٦.
- (٥١) يقول "Their attention was devoted almost entirely to Trading" انظر William of tyre, Vol. II, P. 267.
- (٥٢) ابن العربي، تاريخ خضر القلعة، ص ٢١٧.
- (٥٣) ياقوت المصدر السابق، ص ٢٨٦.
- (٥٤) اسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ١٨٢.
- (٥٥) ابن العربي، المصدر السابق، ص ٢١٧.
- (٥٦) ابن قاضي شجرة الكواكب النورية، ص ٢٦.
- (٥٧) ابن الغلاس، ديل تاريخ دمشق، ص ٣١٩، ص حبر، المصدر السابق، ص ٢١٨.
- (٥٨) نفسه، نفس المصدر، والمصحة.
- (٥٩) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٤٩.
- (٦٠) ناصر خسرو، القبايات الطيبة عند العرب، ص ٧٦، ص ١٢٧.
- (٦١) ناصر خسرو، المصدر السابق، ص ٤٩.
- (٦٢) ابن الفلاس، المصدر السابق، ص ٣١٩.
- (٦٣) نفس المصدر والمصحة.
- (٦٤) نفس المصدر والمصحة.
- (٦٥) ابن خروزمي، مصدر الأساس، ص ٩٢، ميري موهبي، مكتسب العراق، ص ٩١ وعن التطوير التاريخي لصناعته النوري انظر أحمد الشامي، العلاقات التجارية بين دول الخليج ومعدان الشرق الأقصى، ص ١١٩، ومحمي عليان، مساهمة النوري في الحضارة الإسلامية، دراسة تاريخية، ص ٩-٣١، طه حناخري، النوري والنورانية في الحضارة الإسلامية، ص ٦٣-٨٩، كوروكس حواء، النوري أو النورانية، مساهمة في الحضارة الإسلامية، ص ٤٠٩-٤٢٨.
- (٦٦) أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص ٦٣.
- (٦٧) يحيى الساجي، ملامح من تاريخ بحارة الكتب في الإسلام، ص ٧١.
- (٦٨) عاشور، لتدبئة الإسلامية، ص ١٨٧.
- (٦٩) الدمشقي، المصدر السابق، ص ٤٤.
- (٧٠) ابن خروزمي، المصدر السابق، ص ٩٢، ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٢٨٤ أحمد اجلمي، التربية والتعليم في الحضارة الإسلامية، ص ١٩٧.
- (٧١) يحيى الساجي، التزجيم السابق، ص ٧١-٧٤.
- (٧٢) ابن الفلاس، المصدر السابق، ص ٣٢٨.
- (٧٣) نفس المصدر والمصحة.
- (٧٤) سطر من الحوري، المصدر السابق، ص ٢٧٠، المعجمي، المعجم في علم من علم، ج ٢، ص ١٧٧.
- (٧٥) ابن المقدم، وبلدة الخليلي، ج ٢، ص ٣٣.
- (٧٦) ابن الفلاس، المصدر السابق، ص ٣٢٥.
- (٧٧) نفس المصدر والمصحة.
- (٧٨) نفس المصدر والمصحة.

(٧٩) نفس المصدر والصفحة

(٨٠) ابن العديم، ردة الحلي، ج ٢، ص ٣٢١ ويجد أمين صالح الكوك على أنه يسوي عد حين من ذلك نظر أمين صالح النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، ص ١٩٥.

(٨١) ابن اللباس، المصدر السابق، ص ٣٢٧

(٨٢) نفس المصدر والصفحة

(٨٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٧٨

(٨٤) ابن حبان، ترجمة محمود بن زكري، ص ١٣٧

(٨٥) ابن قاضي شهبة، المصدر السابق، ص ١٦.

(٨٦) ابن العديم، ردة الحلي، ج ٢، ص ٣٣٠

(٨٧) عن شروحه عدد رويده ابن الأثير، مصدر السابق، ص ٥١ - ص ٦٠

(٨٨) نفس المصدر، ص ٥١.

(٨٩) عنه في عهد موالدين بن محمود انظر.

ElIssseef, Nur QL=Dn. I, II 827-830

(٩٠) يقول ابن العديم

« إراك حق الشعر على الجدار السعري في العراق والفاقد من هذا إلى دمشق حرسها الله ونعمه وسمه وإعطال

سبه وضع من عاوه والكتابة شيء منه احساناً إلى الرغبة ورأفة وما منهم ود طعة وغربة إلى الله تعالى »

عن نقش باب الشاهين

Compe, Wiet, Sauvaget,

Repertoire chronologique d'epigraphie

Arabe, T. IX, P. 10

Wiet, Notes d'epigraphie Syro-Musulman. P 164.

Van Berchem, Inscriptions Arabes de Syrie. P/ 453 - 454

محمد مؤنس عوف، مائة موالدين محمود الخارجية، ص ٤٦

(٩١) ابن العديم، ردة الحلي، ج ٢، ص ٣٠٨.

(٩٢) نفس المصدر، ص ٣١٥

(٩٣) نفس المصدر، ص ٣٢٥

(٩٤) سقط من اخوي، مصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٢، الصدي، تحت ذوي الأكناف، ص ١٢٧ ابن الغماز

الحلي، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٢١.

(٩٥) ابن العديم، ردة الحلي، ج ٢، ص ٣٣٤

(٩٦) نفس المصدر والصفحة، الدعى، دين الإسلام، ج ٢، ص ٨٣

(٩٧) هابيد، المرجع السابق، ص ١٩١.

(٩٨) كولتون، عالم المصور الوسطى ص ٢١٢

(٩٩) لقولا ربه، سوريا ومن الصنيين، ص ٢٠، حريف سيم، علامات مصر ممالك البحارة الإيطالية في ضوء

ونائق صبح الأمل، ص ١٢٣.

(١٠٠) ابن شافين، المصدر السابق، ص ٤٧.

(١٠١) هابيد، المرجع السابق، ص ١٨١ — ص ١٨٢.

(١٠٢) الأديبسي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٧٢.

(١٠٣) هابيد، المرجع السابق، ص ١٨١.

(١٠٤) نفس المرجع والصيغة.

## الفئة الثامنة والعشرون

### أولاً : المصادر العربية

- ابن الأخوة معالم القرية في أحكام الحسب تحقيق محمد سيان وصلاح عيسى ط . القاهرة ١٩٧٦ م.
- ابن مطوطة الرحلة المسماة نعمة البطار ط . بيروت ١٩٦٤ م.
- ابن الجبير الرحلة المسماة تذكرة بالأخبار في اتفاقيات الأسفار ط . بيروت ١٩٦٨ م.
- ابن حوقل صورة الأرض تحقيق دي جوبه ط . لندن ١٩٣٨ م.
- ابن خلدون المقدمة ط . القاهرة ب — ت
- ابن شاهين زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك، تحقيق بول رانيس، ط . باريس ١٨٩٤ م.

ابن العربي

تاريخ الدول،  
ط . بيروت ب - ت .

ابن العليم

زبدة الحلبي في تاريخ حلب  
ج ٢ . تحقيق سامي الدهان،  
ط . دمشق ١٩٥٤ م .  
نفية الطلب في تاريخ حلب  
القسم الخاص بتراجم السلافة  
تحقيق علي سويم،  
ط . الجمعية التاريخية التركية  
أنقرة ١٩٧٦ م

ابن عساكر

تاريخ مدينة دمشق،  
٣ (٢)، تحقيق صلاح الدين المنجد  
ط . دمشق ١٩٥١ م  
ترجمة محمود بن رنكي،  
تحقيق بيكينا البسيط  
في مجلة الدراسات الشرقية  
م (٢٥) لعام ١٩٧٢ م  
BEO, T. XXV, Année 1972.

ابن العماد الحنبلي

شذرات الذهب في أخبار من ذهب،  
ط . القاهرة ١٣٥١ هـ

ابن قاضي شهاب

الكواكب الدرية في السيرة النورية  
تحقيق محمود زايد،

- ط . بيروت ١٩٧١ م .  
 ديل تاريخ دمشق .  
 تحقيق اميدروثر ،  
 ط . بيروت ١٩٠٨ م .
- ابن القلائس
- البلدية والنهاية ، ج ١٢ ،  
 ط . القاهرة ١٩٣٢ م
- ابن كثير
- تقويم البلدان ،  
 تحقيق رينو ودي سلان  
 ط . باريس ١٨٤٠ م .
- أبو الفداء
- مرحة المشتاق إلى احتراق الأكاف ، ج ٤ ،  
 تحقيق جابر يللي وديلا فيلا  
 ط . نابولي ١٩٧٠ م .
- الادريسي
- الاعتبار ،  
 تحقيق فليب حتي ،  
 ط . بيروت ١٩٨١ م
- أسامة بن منقذ
- الإشارة إلى محاسن التجارة ،  
 تحقيق الشوريحي  
 ط . الاسكندرية ١٩٧٧ م .
- الدمشقي
- العبر في عبر من غير ،  
 تحقيق صلاح الدين المنجد ومواد سعيد  
 ط . الكويت ١٩٦٠ م .
- الذهبي



الذهبي

دول الاسلام،  
تحقيق شلتوت ومصطفى إبراهيم  
ط . القاهرة ١٩٧٤م .

سبط من الجهوري

مرآة الزمان، جـ (٨)، ن (١)  
ط . حيدر آباد الدكن ١٩٥١م .

الصفدي

تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق  
من الخلفاء والملوك والنواب،  
تحقيق صلاح الدين المنجد،  
ط . دمشق ١٩٥٥م .

ناصر خسرو

سمرقانة،  
تحقيق يحيى الخشاب  
ط . القاهرة ١٩٤٥م،  
ط . الرياض

ياقوت الحمدي

معجم البلدان،  
جـ ٧، ط . بيروت ١٩٥٥م .

ثانياً . المراجع العربية والعربية .

آدم منز

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، جـ ٢،  
ت . عبدالهادي أبو ريذة  
ط . القاهرة ١٩٥٧م .

- أحمد الحلبي (د.) «التربية والتعليم في الحضارة الإسلامية»،  
ضمن دراسات عربية وإسلامية  
ط. بغداد ١٩٨٢ م.
- أحمد الشامي (د.) «العلاقات التجارية بين دول الخليج  
وبلدان الشرق الأقصى»،  
مجلة المورخ العربي، العدد (٢) لعام ١٩٨٠ م.
- أحمد شلبي (د.) «تاريخ التربية الإسلامية»،  
ط. القاهرة ١٩٦٦ م.
- أمن صالح (د.) «النظام المالي والاقتصادي في الإسلام»،  
ط. القاهرة ١٩٨٤ م.
- أنيس القلبي (د.) «الدولة الأيوبية في رسائل ابن الأثير»،  
مجلة الأبحاث الجامعة الأمريكية ببيروت، السنة  
(١٨) ج (٣)، ج (٤) سبتمبر ١٩٦٥ م.
- جوزيف نسيم (د.) «علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية على  
ضوء وثائق صبح الأعشى»،  
ضمن كتاب القلقشندي وكتابه صبح الأعشى،  
ط. القاهرة ١٩٧٣ م.
- خالد معاذ «دمشق في أيام ابن عساكر»،  
ضمن الكتاب التذكاري الخاص بابن عساكر،  
ط. دمشق ١٩٧٩ م.

ربحي عليان «صناعة الورق في الحضارة الإسلامية دراسة

تاريخية»

مجلة راسة المكتبة، ٣ (١٦)

العدد (١) عه ١٩٨١ م.

سميد عاشور (د.) «المدينة الإسلامية وأثرها على الحضارة الأوروية،

ط. القاهرة ١٩٦٣ م.

«بعض أضواء جديدة على ابن عساكر»

ضمن الكتاب التذكاري الخاص بابن عساكر،

ط. دمشق ١٩٧٩ م.

طه الحاجري «الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية»

مجلة المجمع العلمي العراقي،

م (١٣) بغداد ١٩٦٦ م

عبدالغني حسن (د.) «التجارة الإسلامية على مر العصور

ضمن كتاب معرض الأدب والتاريخ

ط. القاهرة

كوركيس عواد «الورق أو الكاغد»، مجلة المجمع العلمي العربي

٣ (٢٣)

دمشق ١٩٤٨ م

عالم العصور الوسطى في التنظيم والحضارة،

كولتون

ت. جزييف نسيم يوسف،

ط. الاسكندرية ١٩٦٤ م.

مؤنس عوض (د.) سياسة نورالدين محمود الخارجية،  
رسالة دكتوراه غير منشورة،  
كلية الآداب - جامعة عين شمس، لعام  
١٩٨٨ م.

ميري قنوجي مكتبات العراق،  
ط. بغداد، ١٩٨٢ م.

ناصر حسين (د.) النباتات الطبية عند العرب،  
ط. بغداد، ١٩٨٤ م.

نعمان قسطلاني الروضة الغناء في دمشق الفيحاء،  
ط. دمشق

نعيم زكي (د.) طرق التجارة الدولية أواخر العصور الوسطى،  
ط. القاهرة ١٩٧٣ م.

نقولا زيادة الرحالة العرب،  
ط. القاهرة ١٩٥٦ م.

«سوريا زمن الصليبيين»  
المقتطف، جـ (١) م (٨٧) لعام ١٩٣٥ م.

نيكيتا الييف الحياة الاقتصادية في دمشق  
ضمن الكتاب التذكاري عن ابن عساكر  
ط. دمشق ١٩٧٩ م.

هايد  
تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور  
الوسطى

ط، ت. محمد رضا،

ط. القاهرة ١٩٨٦ م.

وصفي زكريا  
جولة أثرية في البلاد الشامية  
ط. دمشق

يحيى ساعاتي (د.)  
ملاحم من تاريخ تجارة الكتب في  
مجلة العصور، م (١) يناير ١٩٨٦ م.

#### ثالثاً : المصادر اللاتينية :

Willia, of Tyre, History of The deeds. done beyoud The sea, Trans. by Bebcok and

#### رابعاً المراجع الأجنبية : -Kerry.

- Blochet, "l'Histoire d'Alep de Kamal AL-Din", R.O.L., T.VI, Année 1898.  
Cenpe, Wiet, Sauvaget, Repertoire chronologie d'epigraphie Arabe, T. IX, le Caire  
Elisseeff, Nur AL-Din, T. III, Da.as 1967.  
Corporation du Da.as sous Nur AL-Dib, materiaux ou une Topographie economique  
de Damas "Au XII siecle  
R.E.A., III, Année 1956.  
Sauvaget, Alep, Essai sur le development d'une gra.de ville, Paris.  
Wiet, "Notes d'epigraphie Syro-,usulmane" Syria, T. VI, Paris Année 1925.